محمود علي برد

خيانة امرأة

للأستاذ كامل محمود حبيب

— ٣ —

كتبت في العددين ٨٦٥ و٨٦٦ من « الرسالة » الغراء قصة «خيانة امرأة» وهي قصة سمعتها بقلب يهتز من أثر الصدمة، وعينها بفؤاد يضطرم من أثر الفجيعة، وحفظتها في عقل يختلج من أثر الحيرة؛ ثم ظللت أياماً أنازع عنها الرأي وأدفع عنها القلم وأدع عنها الخيال؛ شفقة على صاحب القصة أن يراها مسطورة بين يديه فيرى فيها — داعماً داء قلبه وأذى روحه، فلا يتسرب إليه النسيان؛ فتكون كالتي غذاء يتأرث به ضنا روحه، وحطباً تتوهج به لواعج نفسه. ولكن صاحبي كان يلح في أن أهديه إلى الرأي الذي عزب عن فكره، وأن أبصره بالصواب الذي ندَّ عن عقله، فأهبت بصحابي وأحبائي من قراء «الرسالة» أن يمينوه بحل فيه الصواب والعقل، فتدفق علي فيض من رسائلهم وفيها آراء أعرض بعضها هنا، لي الأسلوب والأداء، ولأصحاب الرسائل الرأي

***

كتب الأديب عبد الفتاح اسماعيل القبيبي بغرشوط بعد مقدمة طويلة من التحايا الطيبة المشكورة يقول:

... والحق أني قرأت قصة «خيانة امرأة» فأحسست بمقلي يختنق، وشعرت بصدري ينقبض، وشملني هم ألح علي أياماً فما استطعت أن أدفعه وهو يلازمني، ولا أن أفر منه وهو يلاحقني، فأذهلني عن أن أجد ريح الحياة الطيبة أو أحس نعيم الهدوء الجميل، فضاقت علي الأرض بما رحبت وضاقت علي نفسي. واستشعرت كلماتك تساقط على كبدي شواظاً من نار يسلبني القرار والعقل، فظللت حيناً مستلب اللب مأخوذ الرأي لا أثبت على فكرة ولا أستقر على خاطرة. فما بال صاحبك وهو قد وجد لدفع المصيبة في قرار قلبه وأحس مس النكبة في أعوار نفسه، ورأى المرأة التي حباها بالهوى والحب، وخصها بالحنان والعطف، وفضلها على كثير من ذوي قرابته، وعق في سبيلها أباه وأحفظ أهله ... رآها تثلم شرفه في عبث وضيع، وتخدش كرامته في استهتار حقير، فلا عجب إن جاءك ينثر عبرات قلبه بين يديك الرفيقتين وينفض أتراحه أمام روحك المتألقة؛ فهو غريق أعوزه الملجأ فنفر إليك علّه يتفيأ ظل عقلك، ومحترق أعجزه المهرب ففزع نحوك يستلهم الهدى من قلبك. فالتمس له عذراً ... أو، لا ... فهو كان يعلم أن صاحبته عاشت في دار أبيها تنعم بالحرية التي يزينها الشيطان ويزوقها الهوى، ولكنه لم ير بعقله الأعور أنها تخلبه بكلام مفوَّف جميل هو مما يزخرف الخداع والمكر، وأنها تستميله بصناعة أهل المدينة وتجذبه ببضاعة أهل الحضر؛ وهو فتى بدوي الطبع ربيء الشمائل، خلو من خداع المدنية بعيد عن لؤم الحضارة؛ تخلطها بنفسه على حين قد غاب عنه أنها تتصنع طهارة تسترجساً، وتموه عليه ببراءة مصنوعة توارى خسة، فارتدع في نزوة من نزوات الشباب وانحط قلبه في غمرات الطيش، ليجني — بعد حين — ثمرات زقه مأساة جارفة تعصف بآماله وتطوي أمانيه وتهدم سعادته.

ولست أدري كيف يطمئن الرجل في دار تضم امرأة دنست عرضه وامتهنت كرامته؟ ولا كيف يرغم نفسه على أن يبذل في سبيلها درهماً واحداً من مال أصابه بالجد والتعب فيطعمها ويكسوها ...؟ ولا كيف يرضى أن يحميها في داره من غوائل الحياة وهي رجس من عمل الشيطان، عبثت بحرمته وانتهكت شرفه؟ ولا كيف يطيق أن يراها تضطرب أمام ناظريه وهو يحمل لها في نفسه بغضاً واحتقاراً؟ فماذا إذن يمسكه عن أن يقذف في وجهها بالكلمة المحرمة فيلقى بالخائنة الوضيعة إلى الشارع ... إلى الذئب.

أما أحباؤه — أبناؤه — فيسجدون في المربية عزاء وسلوة .. والمربية الحصيفة تستطيع أن تكون أماً وخادماً.

***

وجاء في رسالة الأديب نيازي علي مرزوق بكلية اللغة العربية ما يأتي:

لا معدى لصاحبك — يا سيدي ... من أن يحل عقدة الزواج

ويلقى الخائنة إلى فجاج الشارع ، فإن حرمان الصغار من عطف الأمومة أيسر من أن يرى الرجل شرفه وهو يلطخ بالدنس ثم يقف حياله عاجزاً ضعيفاً لا يدفع عن نفسه شيئاً ولا يرد أذى . والنساء غيرها كثير فليتزوج من أخرى طاهرة المنبت شريفة الأصل نبيلة الأرومة فيجد فيها زوجاً تصون عرضه وتحفظ كرامته ، ويجد الصغار فى كنفها العطف والحنان .

وللأديب محمود محمد عبده بالمنصورة رأى يشبه رأى الأديب نيازى .

وكتب الأديب السيد عوض الجعفرى بقنا يقول :

قد تظن — ياسيدى — أن صعيدياً مثلى يقرأ قصة « خيانة امرأة » فيفقد عقله ويطير صوابه وتتأجج فيه الحيوانية الثائرة التى لا تعرف إلا الدم ... الدم الذى يغسل الشرف الرفيع مما لوثته به امرأة حمقاء ساقطة ، ولكنى أترفق بصاحبك فأهديه إلى سواء السبيل فى غير عنف ولا شدة . والرأى عندى أن يذرها فى الدار تخدم أولادها وهم حبة قلبه ونور عينه؛ ثم يهجرها فلا يميل إليها ؛ وبجانبها فلا يهفو نحوها ، ويحتقرها فلا يرعى حقها ، ويراقبها فى دقة خشية أن تتمادى فى الغواية أو تندفع فى الطيش ، ثم يكتم الخبر فى نفسه لا يحدث به أحداً ولا ينشره على أبيه . ولا بد أن يعلم صاحبك أنه إن طلق زوجته تناثر الخبر ولاكته ألسن فى القرية فيها الحفيظة والغيظ ، وبالته شماتة القريب وأصابه تهكم الغريب . وإذا بلغ أبناؤه مبالغ الرجال وجدوا من يعيرهم بمأجنته الأم فيحسون مس الذل وعار الخطيئة ، وتعمل فى نفوسهم عوامل متضاربة تقتل فيهم هيبة العقل ، وتنزع عنهم دوافع السمو ، وتخلع عنهم أسباب الترفع . ويعيش الواحد منهم عمره وفى خياله الجرم الدنىء يلاحقه فيضيق بالحياة ويضيق بالشرف ، وقد تسول له نفسه أن ينتقم من مجتمع جاهل أحمق حمله عبء جناية لم تقترفها يده .

وإذا بقيت الأم فى الدار لم يتناثر الحديث ولا تطايرت ريبة ولا شاع شك ، فيحفظ الزوج — إذ ذاك — على نفسه عزتها ؛ ويبقى على الأولاد حنان الأم ، ويجنبهم مرارة اليتم ، ويوقيهم لذع الضياع .

ولست أنصح بأن يتزوج مرة أخرى لأنه إن فعل جمع على نفسه همين وضرب نفسه بالضرتين وقتل عقله الشك فى المرأتين . وإنه ليتراءى لى أن صاحبك لن يطمئن إلى امرأة من بنات حواء بعدما عانى من خيانة الزوجة . فلا مندى له — إذن — من أن يعيش زوجاً كالعزب أو عزباً كالزوج يستعذب الوحدة فى سبيل رضا أولاده ، ويستمرىء النأى عن النساء خيفة أن تتناهبه الظنون وتتوزعه الشكوك .

...

وافتتحت الآنسة « مجهولة » بطرابلس — لبنان ، رسالتها بعتاب حاد تقول فيه !

... وأعجب العجب أن تبحث مشكلة المرأة فتستفتى القراء وحدهم دون القارئات على حين أن لمجلة « الرسالة » قارئات من ذوات العقل والرأى . والمرأة فى مشاكل الدار رأى لا يتخلف — أبداً — عن رأى الرجل ، وللسيدة فى مسائل الأسرة عقل يسمو — غالباً — على عقل الرجل . ولكن لاعتب عليكم ، فأنتم — أيها الرجال — ما زلتم تنظرون إلى المرأة بعين الاحتقار ظناً منكم أنها تخلفت عن الركب فلا تستأهل أن تجاذبكم الرأى ولا أن تناقشكم الفكرة ، ميراث أورثتموه — منذ زمان — فتدفق فى دمائكم وعز عليكم أن تطرحوه جانباً لتواجهوا الحقيقة التى تتبدى لكل ذى عينين . ولا ريب عندى فى أن المرأة العصرية هى والرجل على سواء واحد فى سعة الأفق وأصالة الرأى وحصافة العقل .

ثم راحت تدافع عن الزوجة الخائنة دفاعاً حاراً عنيداً يتراءى من خلاله التعصب الجارف للجنس ، فقالت : وليست المسألة هى قضية الشرف والكرامة و ... مما نسمع من كلمات رنانة طنانة تستهوى القلب وتستميل الأذن ، ولكنها قضية زوجة صحبت زوجها سبع سنوات ثم تصبح — فى لمحة واحدة — طريدة تتلقفها الشوارع فى غير رحمة ، ويتجاذبها الذئاب فى غير هوادة ، وهى قضية صغار زغب الحواصل يفتقدون — على حين فجأة — حنان الأم ونور السعادة فى غير ذنب ولا جريرة .

ولا عجب أن تلقى اللوم كله على الزوجة وحدها حين خانت زوجها ، لأنك رجل . أما أنا فلا أبرىء الزوج مما اقترفت زوجته